حزب البعث العربي الإشتراكي
القيادة القومية



أمة عربية واحدة
ذات رسالة خالدة

كيف نفهم وحدة الحزب

تقرير الى المؤتمر القومي الثالث لحزب البعث العربي الإشتراكي



منشورات الطليعة
1987

كيف نفهم وحدة الحزب [1]

لقد نادى حزبنا بفكرة القومية العربية والتجسيد العملي لها وهو الوحدة. وشرح في كتاباته هذا المفهوم وحدده بانه الشعور الذي يربط العرب جميعاً بانهم ينتمون لأمة واحدة، ذلك الشعور، الذي هو احساس داخلي عميق، مقرون بالايمان بان لهذه الامة رسالة خاصة بها لا تتحقق الا اذا نهضت وتجددت حياتها اي اذا توحدت بمجتمع تقدمي، حر، اشتراكي، متطور. فالقومية العربية فكرة تجسدها امة موحدة قوية يسترجع الفرد فيها انسانيته وحريته الحقيقية وتقدم للعالم تجربة مفيدة وتساهم في تقدم البشرية.

والفكرة هذه تتفتح في الافراد وتنبع من اعماقهم، وكلما ازداد تفتحها اقتربت الامة من الوحدة والتحمت اجزاؤها المبعثرة. ان الوحدة العربية هي التعبير العملي عن تحقيق الفكرة والوسط الذي تستطيع الفكرة فيه ان تثمر وتؤدي مفعولها. لذلك فوحدة الامة العربية ليست اجراءاً سياسياً نقول به لفوائده القريبة التي تفوق اضراره بل هي التعبير السليم عن تحقيق فكرة الامة العربية التي بدونها لا تكون هناك قومية عربية. من ذلك نستنتج

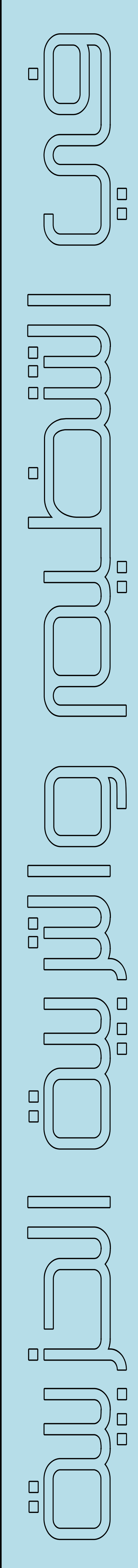
---

(١) من تقرير قدم للمؤتمر القومي الثالث، ولم يتح للمؤتمر مناقشته.

بان الوحدة العربية تعني في الدرجة الاولى وقبل كل شيء وحدة الشعب العربي في الفكر والروح والاتجاه .

وتحقيق وحدة الفكرة والروح والاتجاه تتطلب ان نتجه للشعب الذي هو مادة العمل . وهذه النظرة للوحدة العربية تختلف عن النظرة السياسية التي خرجت من الغرب حيث تمت وحدة المانيا ووحدة ايطاليا لا عن طريق النضال الشعبي من اجل الفكرة وترسيخها بل عن طريق العمل السياسي الصرف مع حكومات الولايات وامراء الاقاليم والملوك . فالوحدة على النمط الغربي تعني في الدرجة الاولى الوحدة السياسية وتوحيد السلطة والقوانين والجنسية . ان هذا الاختلاف بين النظرة الحيه الشعبية الفكرية التي ينادي بها حزبنا وبين النظرة القانونية السياسية المجردة التي سادت في الغرب هو الذي يؤدي للاختلاف في الاساليب والوسائل ونقاط البدء . اننا في عملنا للوحدة العربية نبدأ بالشعب العربي لنقلب تفكيره ولنجدد روحه ولنوحد اتجاهه .

المبدأ الاساسي الثاني الذي تقوم عليه نظرتنا للوحدة العربية هو الثورية، اي اتباع الاسلوب الثوري الذي يتمرد على الحواجز والحدود والاعتبارات المحلية والاوضاع الاقليمية وكل ما يرتبط بها من مصالح وقوى . ان اختيار الاسلوب الثوري لتحقيق الوحدة لم يأت اعتباطاً ولا بسبب اندفاع عاطفي حماسي بل نتيجة لتشخيص علمي واقعي لوضع الامة العربية . ان حالة التفكك والضعف وقوة التجزئة قد بلغت حداً لم يعد من الممكن التغلب عليها الا باسلوب ثوري يقوم على نظرة جذرية للامور ومجابهة نضالية عنيفة للواقع .



ان النضال العنيف حالة فكرية ونفسية عالية في التحرر والانعتاق من المصالح لذلك فهي الحالة السليمة التي يدرك بها الشعب زيف التجزئة وضرورة الوحدة .

وقد اوضح الرفيق ميشيل عفلق هذين المبدأين الملازمين بحديث له مع طلبة المغرب العربي الذين سألوه عن وحدة المغرب العربي فقال :

« بالنسبة الى الامم التي طرأ عليها التأخر والانحطاط والجمود اجيالا من الدهر كأمتنا العربية ـ وهذا شيء لا مجال لنكرانه ـ احسن حالة يمكن لأمة متأخرة لكي تتوحد ولكي تشعر بشخصياتها ومؤهلاتها : هي حالة النضال . فالامة العربية هي شيء الآن .. شيء مجرد .. هو في اذهان الجيل الجديد . ولكنها عملياً غير متحققة .. هي حلم في اذهاننا .. في كل مكان موجود فيه شباب مؤمن .. يؤمن ان امته قادرة على الانبعاث وستعود مجموعة حية في المستقبل . ولكن عملياً هل هناك امة عربية متحققة ؟ ... انها متحققة في كل مكان يوجد فيه نضال ، وبشكل خاص اذا كان جدياً يواجه الموت في كل ساعة .. في حالة مجابهة الموت ترتفع الغشاوات وكل اثقال الجمود التي تراكمت خلال القرون .. اثقال الجهل والمصالح المختلفة الانانية وغير ذلك .. »

لوضع التجزئة نظرة مستمدة منه هي نظرة التجزئة التي هي موجودة لا عند الحكومات فقط بل في الشعب نفسه . هناك تفكير التجزئة والمصالح المرتبطة بها والقوى التي تسندها والثقافة التي ترشحت منها وطبعت الجيل بطابعها وتبقى تطبع كل جيل جديد يأتي . يضاف لها قوى المصالح المادية والمعنوية للفئات الحاكمة والطبقات المنتفعة المستغلة المرتبطة بوضع التجزئة .

كل هذه القوى لا يمكن ان تقهر الا اذا تكوّن تيار شعبي منتظم بحركة ثورية تغير التفكير والنظرة السائدة وتحل محلها النظرة والتفكير الوحدوي ، وتضغط على الفئات الحاكمة والطبقات المستغلة المنتفعة . عندها فقط تهدم الحدود السياسية والاجتماعية والاقتصادية وينعكس التيار ويتغير مجرى التطور شطر التوحيد .

التطبيق العملي للنظرية :

هذا هو ملخص نظرية الوحدة في حزبنا . وهي نظرية جديدة لم يسبق لحزب من الاحزاب ان وضعها بمثل هذا الوضوح . فالاحزاب القومية الاخرى كانت ولا تزال الى اليوم تقول بالوحدة بشكل عام غير واضح ، لا يتعدى مجرد التمني بتوحيد الامة العربية . فهي لم تحدد مدى خطورة التجزئة ولا اسلوب معالجتها . وليس ادل على عمومية وسطحية نظرة الفئات الاخرى وبعدها عن النظرة العلمية من انها في الوقت الذي تدعو فيه للوحدة نجدها تحصر نشاطها وتنظيمها في نطاق الاقليم .

وكان حزبنا هو الحركة الاولى التي وضعت تنظيمها على اساس نظرتها وخرجت عن الاقليم الذي نشأت فيه واتجهت لكل العرب كمنظمة عربية واحدة لا تعترف بالتجزئة والحدود . ولا غرو فنقطة الانطلاق في حركتنا كانت نصرة ثورة ١٩٤١ في العراق .

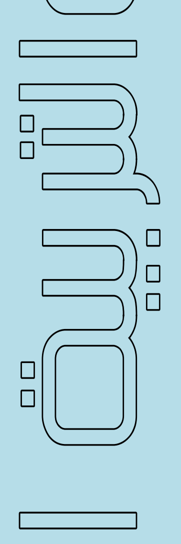
ومنذ البداية قال حزبنا بوحدة القضية العربية وبضرورة ان يبدأ العمل السياسي من هذه المسلمة . ان الامة العربية لا تتوحد الا اذا توحدت قضيتها اي اذا تغير منطق السياسة من الاقليمية للوحدة ، اي اذا عولجت القضية

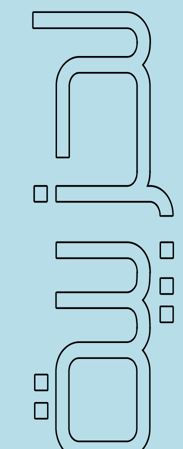
بشكل موحد . ويتطلب ذلك عملياً وحدة النضال القومي . ولكن وحدة النضال القومي لا يمكن ان تتحقق عن طريق الاحزاب القومية الاقليمية مهما تحالفت وأتلفت . فمن ناحية يبقى الارتباط نظرياً لأنه تجمع جامد متناقض يطلب التوحيد من منظمات لا تستطيع ذلك بحكم نظرتها الاقليمية. ان النظرة الاقليمية السائدة في هذه الاحزاب تجعل تجمعها نظرياً فقط سرعان ما يتشتت ويتضارب .

ومن ناحية اخرى حتى لو فرضنا النظرة القومية في هذه الاحزاب الاقليمية يبقى التنظيم مختلا غير متسق ، فيواجه التجمع صعوبات عملية تنظيمية تضعف قوته وتحد من فعاليته . فلاسباب مبدئية وعملية لا يمكن ان يكون النضال القومي موحداً الا على يد حزب قومي واحد . في الحزب القومي وحده تتوفر النظرة الوحدوية الصحيحة ، وفيه تتوفر مزايا الارتباط العضوي وقوة النضال الناتجة عن التنظيم الموحد .

هكذا قام حزبنا واعلن انه « حزب عربي شامل تؤسس له فروع في سائر الاقطار العربية » ، وهو « لا يعالج السياسة القطرية الا من وجهة نظر المصلحة العربية العليا » .

ولكن هذه النظرية القومية في العمل السياسي وفي التنظيم لا يمكن ترسيخ جذورها واحلالها محل النظرة الاقليمية الا اذا توفرت روح ثورية عالية تتغلب على المصالح والانانية والاعتبارات المحلية والثقافة الفاسدة العتيقة وترتفع لمستوى التضحية بكل ذلك في سبيل الفكرة الجديدة . وبجانب الروح الثورية يجب ان يقوم نظام يجسد الفكرة ويحافظ عليها ويمدها بالقوة كلما واجهتها العقبات والمصاعب . وبكلمات ابسط تتطلب الفكرة القومية ان يكون اعضاء حزبنا — خصوصاً القياديين منهم — مؤمنين بالوحدة





ايماناً حقيقياً عميقاً ، ايماناً ثورياً يضع الامة دائماً فوق الاقليم ، ويقدم المصلحة العربية العليا فوق كل مصلحة محلية مهما تزاحمت الحوادث وتطورت الاوضاع القطرية وازدادت مشاغلها . ولأجل ان تبقى هذه النظرية الثورية عند الاعضاء مسيطرة وقوية وحية يجب ان يتوفر تنظيم قومي قوي وكفوء يستطيع فعلاً ان يربط اجزاء الحزب وفروعه بمنظمة واحدة ملتحمة عضوياً ويفرض على الجميع المنطق والتنظيم القومي .

واقع الحزب

ولكن هل استطاع الحزب ان يطبق نظرته في العمل السياسي وفي التنظيم الداخلي ؟ هل استطاع فعلاً ان يكون منظمة عربية تعالج المشاكل السياسية على اساس مبدأ وحدة القضية العربية ؟ لقد عمل حزبنا في وسط ظروف التجزئة فأسس فروعاً كثيرة في الاقطار العربية وامتدت تنظيماته لخارج الوطن .

ويمكننا ان نقسم تاريخ التنظيم في الاقطار العربية كما يلي :

١ ـ المرحلة الاولى (١)

هي المرحلة البداثية عندما كانت التشكيلات الحزبية في الاقطار العربية صغيرة في عددها وبسيطة في تنظيمها . فاقتصر عملها على التوجيه الفكري ونشر فكرة الحزب وثقافته وتثبيت المبادىء الاولية في التنظيم كالاجتماعات والمناقشات وطبع النشرات والكتب وجمع الاشتراكات ، وتطوير

---

(١) ان هذا التقسيم هو تحليلي لا زمني اي انهمقصود للتوضيح والمناقشة ولا يمثل ادواراً زمنية تاريخيـــة .

التشكيلات المتسلسلة من الحلقة فما فوق .

واتسمت هذه الفترة بالتعلق الشديد بثقافة الحزب و الحماس القومي العاطفي والتطلع لقطر سوريا لأنه مكان ولادة الحزب ومركز اشعاعه وقوته . وبجانب هذا الانغماس في فكرة الحزب كان هناك شبه انقطاع بين الحزب الناشىء والوضع الاقليمي الذي يحيطه . فالتشكيلات الحزبية الاولى في العراق والاردن ولبنان في السنوات القليلة التي تحيط سنة ١٩٥٠ لم تكن منجذبة للسياسة المحلية لأنها كانت بادئة وليست ذات وزن سياسي موثر في الاوضاع . وان هي شاركت في السياسة المحلية كانت مشاركتها غالباً من قبيل تسجيل الموقف والمناوشة وفي بعض الاحيان مقصودة لاحتلال مكان بين الاحزاب التقليدية . وعلى العموم كانت تلك المشاركة مرتبطة لحد بعيد بمبدأ وحدة القضية العربية .

فحزبنا في لبنان في مرحلته الاولى لم يركز اهتمامه على وضع لبنان الداخلي بقدر ما اهتم بقضايا الوطن العربي عامة . فقد تظاهر لنصرة مراكش عام ١٩٥١ ، وقام بنشاط شعبي واسع ضد دكتاتورية الشيشكلي عندما نظم اضراب الجامعة الاميركية على اثر ضرب الشرطة في دمشق طلبة الجامعة السورية بالرصاص ، واقام مهرجاناً شعبياً ضخماً لتخليد شهداء ٦ ايار ، ووضع برنامجاً لبيانات عديدة قرر اصدارها في ذلك العام منها ذكرى تأسيس الجامعة العربية ، ويوم المرأة العربية ، وذكرى تقسيم فلسطين .

وفي العراق سادت هذه النظرة القومية لحد بعيد في المرحلة الاولى . فقد استجاب الحزب هناك للحملة القومية ضد دكتاتورية الشيشكلي فقدم

مذكرة احتجاج لسفارة سوريا وتظاهر في دار السفارة متحدياً ارهاب الفئة الحاكمة آنذاك . وانطبع الجزء الاعظم من نشاطه بهذا الطابع القومي الشامل .

واذا حاولنا تحليل اسباب ذلك وجدنا انها تعود لعاملين :

اولا – الروح الثورية العالية الصادرة من الفكرة . فحرارة الفكرة القومية ونصاعتها والعفوية والصفاء الذي يتوفر عند الاعضاء الجدد ويطبع التشكيلات الناشئة قد ساعد لحد كبير على اعطاء هذه الصفة القومية للنشاط . وهذا عامل ايجابي .

ثانياً – وهناك عامل سلبي هو صغر تلك التشكيلات . فكونها ضعيفة غير ذات وزن سياسي قد جعلها تنفصل عن الشؤون الاقليمية وتتعلق بالعمل القومي العام . ان التشكيلات الاولى لم يكن بمقدورها ان تؤثر عملياً في السياسة الاقليمية لأنها ناشئة صغيرة بالنسبة للاحزاب الاقليمية الموجودة . فهي عندما لا تكون مساوية او مقاربة لتلك القوى لا تستطيع ان تساهم في العمل السياسي المحلي .

ومهما كانت الاسباب فقوة النظرة القومية نسبياً في هذه المرحلة لم تكن ناتجة عن قوة التنظيم القومي ومركزيته لأنه لم يكن متوفراً .

ان احسن مثال على هذه المرحلة هو حالة تشكيلات حزبنا الموجودة الآن في السعودية ومناطق الجنوب العربي . فهي تمر تقريباً بنفس المرحلة التي مرت بها تشكيلات العراق والاردن ولبنان قبل حوالي السبع سنوات .

٢ ـ المرحلة الثانية :

في هده المرحلة نمت تشكيلات الحزب وتوسعت وازدادت قوتها السياسية في اقطارها واستطاعت ان تحتل مكاناً بين الاحزاب الاقليمية وان تتفوق عليها بعض الاحيان كما حدث في العراق بالنسبة لحزب الاستقلال . ورافق هذا التوسع ازدياد الوزن السياسي للفروع واصبحت ذات اثر في السياسة المحلية . ففي العراق ساهم الحزب بشكل فعال في انتفاضة ١٩٥٣ وفي حوادث ١٩٥٦ عندما قاوم حلف بغداد ودخل الجبهة الوطنية مع الاحزاب الاخرى . وفي الاردن دخل حزبنا محيط السياسة العملية عندما قاوم محاولة جر الاردن لحلف بغداد وخاض معركة تطهير الجيش . وفي لبنان خاض حزبنا الانتفاضة المسلحة عام ١٩٥٨ بجدارة واثبت كفاءة وثورية عالية بالنسبة لقواه المحدودة وحداثة نشوئه .

ان الذي حدث في هذه المرحلة هو اتصال الحزب بالواقع وتشابك نشاطه بالسياسة العملية الاقليمية . للحزب روحه ونظرته القومية ولكن للواقع ايضاً روحه ونظرته الاقليمية . وبهذا الاتصال والتشابك لا بد ان يؤثر جانب بآخر . اما تحديد الجانب المؤثر والجانب المتأثر ومدى التأثر فيعتمد على توازن القوة في الجانبين . لقد كانت نتيجة هذا الالتقاء مزدوجة فقد اثر حزبنا بالواقع الاقليمي بعض الشيء فطعمه لحد ما بالنظرة القومية ونشر في الجو فكرته التي تسرب شيء من اثرها في الواقع ولكن من الناحية الاخرى ـ وهو موضوع بحثنا الآن ـ تسربت روح التجزئة لحزبنا واثرت فيه . فالوضع الاقليمي قد جذب تشكيلاتنا نحوه وربطها به وجعلها تنغمس بشؤونه ومشاغله اكثر فاكثر بتأثير اغراء النجاح السريع وكسب

المنزلة السياسية بين الاحزاب الاخرى . اي ان الواقع قد استطاع ان يجر حزبنا اليه بدلاً من ان يحدث العكس . فازداد اهتمام حزبنا بالقضايا الاقليمية بالنسبة للقضايا القومية حتى ان سياسته الطويلة الامد قد ارتبطت بالوضع الاقليمي بشكل اخذ يوحي بتبدل في النظرة الاساسية . ان نشاط بعض تشكيلاتنا القطرية المتلازم مع القطر الذي تعمل فيه قد اصبح وكأنه يقوم على اساس ان حل المشكلة الاقليمية هو طريق حل المشكلة القومية بدلاً من ان يكون الاساس عكس ذلك .

ومما مهد لنمو هذا الاتجاه بشكل اساسي هو ان التنظيم القومي لم يرتفع مستواه السابق بل بقي على حالته الاولى : بدائياً يعوزه الاساس العلمي والاساليب الحديثة . في الوقت الذي بدأت التشكيلات الاقليمية تتجه بالتدريج نحو الاقليمية والانغماس في المشاكل المحلية لم يوجد تنظيم قومي مركزي متين يحد من هذا الاتجاه ويرجع الحزب لوحدته ويطرح منه رواسب الواقع الفاسد التي تسربت اليه . وفحوى ذلك ضعف القيادة القومية وتخلفها عن متطلبات الوضع القومي الجديد الذي نما وتوسع عما كان عليه في مرحلة التأسيس . والقيادة القومية نفسها لم تسلم من هذا الداء فقد جذبها واقع سوريا اليه فانغمست به واصبحت في معظم نشاطها متجهة نحو معالجة الوضع الاقليمي .

٣ ــ المرحلة الثالثة :

هي مرحلة الاقليمية الانتهازية .

قلنا ان المرحلة الثانية قد اتسمت بالانجذاب نحو السياسة المحليــة

والانغماس فيها على حساب النشاط القومي . ولكن كل ذلك كان بدافع عفوي وبدون وعي ، ونتيجة لتطور بطيء استدرج فيه الحزب عن غير قصد للعمل المحلي . وهو لحد ما نتيجة طبيعية للاتصال الذي يحدث لأول مرة بين حزب ناشيء جديد يحمل فكرة قومية انقلابية وبين واقع التجزئة وملابساته العملية . ان الذي حدث هو ارتباك سببه نقص التجربة وعدم اقتران الثورية القطرية بنضال عملي يعمقها ويرسل جذورها في النفوس .

ولكن مرحلة الانجذاب العفوي للاقليمية قد تبلورت وتوسع مفعولها وهيأت الجو لظهور بعض الافراد الطموحين الذين وجدوا في السياسة المحلية مجالا رحباً للظهور وتكوين مركز سياسي وزعامة محلية في الحزب . لقد اندفع هؤلاء الافراد القلائل في العمل الاقليمي والسياسة المحلية لحد بعيد جداً بحيث اصبح مصيرهم ومستقبلهم السياسي مرتبط بهذا النشاط . وهكذا تكوّن في حزبنا بعض الافراد الذين يمتهنون العمل السياسي الاقليمي فدفعوا الحزب في هذا الاتجاه وربطوا مصيره بمصيرهم ومصير الكل بنجاح القضية الاقليمية .

والجدير بالملاحظة هو ان توسع الحزب وازدياد قوته المحلية واحتلال مركز ممتاز بين الاحزاب الاقليمية قد فتح مجالا للاشتراك في الحكم الامر الذي شجع هؤلاء الافراد على التمسك بالسياسة الاقليمية اكثر من ذي قبل . فنمت في الحزب زعامات محلية اصبح من مصلحتها تحقيق شيء من اللامركزية والسير نحو تفكيك الارتباط القومي . ان هذا التمركز الاقليمي من قبل بعض الافراد لم يكن عفوياً سببه نقص التجربة ولا هو نتيجة طبيعة للاتصال بالواقع بل جاء واعياً وبه الكثير من التحسس للمصلحة

الخاصة على حساب مصلحة الحزب ككل . فمثلا بدأت في الحزب ظاهرة غريبة على فكرة التنظيم القومي هي الاصرار على الحاق الاعضاء الذين يخرجون من تنظيم احد الاقطار ويسكنون في الخارج بتنظيم ذلك القطر ، اي ان سلطة التنظيم القطري اخذت تمتد لخارج القطر جغرافياً لتشمل كل من يحملون جنسية ذلك القطر حتى ولو كانوا يقطنون خارجه ، وفرقة اللاجئين السياسيين من الاردن في دمشق مثال على ذلك .

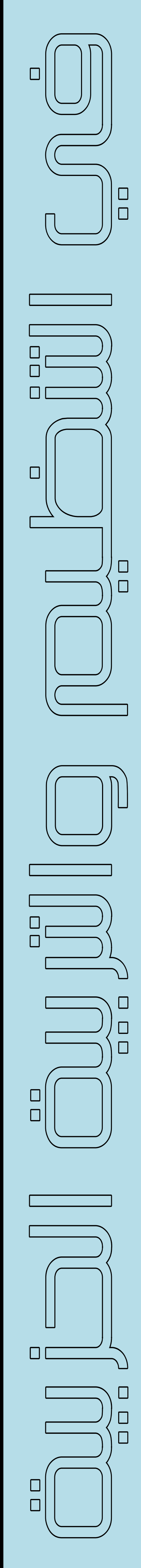
ومثل هذه النظرة المتناقضة للفكرة التي قام عليها تنظيم حزبنا قد ادخلها افراد قلائل وثبتوها عن قصد ووعي لأنها تيسر لهم سيطرة ونفوذاً في هذه التنظيمات .

اين تتجسد الاقليمية في الحزب ؟

استعرضنا فيما فات خطوات الاتجاه نحو الاقليمية واوضحنا خصائص كل خطوة . وقد تجسد هذا الاتجاه في جوانب معينة من عملنا سنحاول مناقشتها الآن .

١ ــ الاقليمية في التنظيم :

لقد تضافرت كل العوامل التي ذكرناها سابقاً وهي ضعف الجهاز المركزي ، وارتداد الواقع الفاسد وتسرب النظرة الاقليمية نتيجة للاتصال. والميول الانتهازية عند بعض الافراد ، لقد تضافرت كل هذه العوامل على تفكيك وحدة الحزب الداخلية وخلق تيار يدفع نحو الخارج ، نحو الابتعاد بدلا من الدفع الى الداخل نحو التماسك والوحدة . فأصاب نظامنا



ارتباك وتجزئة ظهرت بوادرها بشكل تكيّف للظروف المحلية . فبدلا من ان يكون لدينا نظام داخلي واحد مصمم بضوء دراسة شاملة دقيقة للاوضاع المتباينة في الاقطار فيكون مرناً حاوياً للتباين ويضمن الوحدة بنفس الوقت ، بدلا من ذلك اخذت منظمات حزبنا في الاقطار تتكيف للاوضاع المحلية وتسير بانظمتها الداخلية شطر ذلك التباين متكيفة معه بدلا من ان تكيف اوضاعها هي وتسيطر على ظروفها بضمن نظام موحد ثوري يصهرها ويؤكد وحدتها . وقد انفتح باب الاجتهاد في التنظيم لآخره واصبح التكيف والتلاؤم مع الظروف بغض النظر عن النظام الداخلي امراً شائعاً معروفاً تمارسه اغلب التشكيلات الحزبية . فلو قمنا بدراسة مقارنة للنظم المطبقة فعلا في الاقطار لوجدنا ان هناك تبايناً كبيراً في كل المستويات الاساسية والثانوية . بل لقد وصلت التجزئة في التنظيم لحد ظهرت في بعض المناطق انظمة محلية خاصة كما حدث فعلا في تنظيم الطلبة في مصر والذي الغي مؤخراً .

امادوافع الخروج على النظام الداخلي واستعمال الاجتهاد على نطاق واسع فهي خليط من عوامل عديدة . هناك اولا ضغط الظروف المحلية خصوصاً في الاقطار التي يكون العمل فيها سرياً يواجه الارهاب من قبل السلطة . فضغط الظروف بدلا من ان يواجه بروح ثورية عالية تعاف السهولة وتبقى مصرة على التغلب عليها حصل شيء من التراخي والخضوع لمتطلبات الظروف فتكيف النظام بدلا من ان يحدث العكس .

وبجانب ذلك هناك النقص في النظام الداخلي نفسه الذي لم يكن من الشمول والمرونة لدرجة يستوعب تباين الظروف وقسوتها في بعض

المناطق ، والذي بقي جامداً لا يتطور ازاء الصعوبات والعقبات في التطبيق .

ولكن هناك نوع آخر من الاجتهادات التي كانت دوافعها التخلص من المسؤولية والالتفاف حول النصوص . هناك نوع من التكييف الذي اوجد ليخدم اغراض بعض الاعضاء من ذوي المراكز العالية في الحزب ولدعم نفوذهم . لم تكن كل حالات الخروج على النظام الداخلي ناشئة عن الارتخاء العفوي ونقص الوعي وهبوط روح المسؤولية بل جاء بعضها مصلحياً مصمماً عن وعي مسبق واصرار وهذا هو وجه الخطورة في الموضوع .

٢ ـ الاقليمية في العمل السياسي :

وتجسدت الاقليمية في نشاط حزبنا السياسي كتعبير عملي عن التفكك الداخلي وارتداد الواقع الفاسد على ثوريتنا وتأثيره فيها . لقد انجذبت منظماتنا الاقليمية نحو الشؤون المحلية ودخلت فيها وتشابكت معها واصبحت مرتبطة المصير لحد بعيد بمصير الوضع المحلي . فظهرت في سياستها فكرة « القضايا » المتعددة بتعدد الاقطار « كقضية الاردن » و « قضية العراق » و « قضية لبنان » .. وهكذا . ان هذا الاتجاه اذا ما استمر سيزداد قوة لأنـــه سيغذي نفسه ويولد قوة دافعة ذاتية تزيده تركيزاً . وتطوره الطبيعي التلقائي سيوصلنا عملياً لنفس موقف الاحزاب القومية الاقليمية التي تقول بوجوب التركيز على القضية الاقليمية اولا . فمتى حلت مشكلة كل قطر من الاقطار العربية اصبح من اليسير حل

القضية العربية كلها . سوف لن يطول الوقت الذي نجد انفسنا لا نختلف بسياستنا العملية عن هذا الموقف فنصبح مجموعة احزاب لا تربطها غير امور شكلية بحتة .

ولا يخفى ان هناك صلة عميقة بين الاقليمية في التنظيم والاقليمية في العمل السياسي . فالاتجاه نحو الاقليمية في التنظيم قد انعكس بقلب تشكيلات الحزب في الاقطار من منظمات ادارية الى منظمات سياسية ، بربط تلك التشكيلات بالسياسة المحلية وبقضية القطر الذي توجد فيه . فاصبحت وكأن مهمتها الاولى هو حل تلك القضايا كتحرير الاردن ، وتحرير العراق ، وتحرير لبنان ... الخ . في حين ان النظرة القومية تقضي بأن يدرس الوضع العربي ككل وتحدد مشكلة المرحلة الحاضرة بضوء المشكلة الكبرى ، وترسم الخطة واستراتيجية تنفيذها ، واذا نتج عن ذلك ان تقرر ان التركيز الآن يجب ان يكون على حل قضية العراق مثلا عندها يعبأ الحزب كله وتتحرك كل منظماته وقواه للعمل حسب الخطة الشاملة لحل تلك القضية .

هذا هو الاسلوب المنبثق من النظرة القومية . اما النظرة الاقليمية فتجزىء القضية العربية وتؤدي منطقياً لأن يعمل كل في قطره لحل مشكلته الخاصة . فما دامت هناك عدة قضايا فحلها لا يكون الا بعدة خطط وبواسطة عدة منظمات .

٣ ـ الاقليمية في الاتجاه :

ولكن هذا التباين في التنظيم وفي العمل السياسي قد غذى نفسه وولد

قوة تدفع للمزيد من الاقليمية . فقد تبلور بالتدريج تباين في اسلوب العمل وفي الموقف من بعض القضايا الايديولوجية . ان الاسلوب الذي تتطلبه النظرة القومية والذي يقتضيه العمل على المستوى القومي الشامل يبدو غير مناسب في حدود الاقليم وعندما يستعمل في حل القضايا الاقليمية .

ويبدو ان الميل الذي ظهر مؤخراً نحو العمل العسكري بدلا من العمل الشعبي هو احدى نتائج هذا الاتجاه . في النظرية القومية ينسجم الاسلوب مع طبيعة المشكلة ويكون متفرعاً منها . فالقضية العربية عندما تجزأ يصبح من المنتظر ان يختلف اسلوب حلها من قطر لآخر .

والتباين في الاسلوب هذا قد اوجد اختلافاً في الاتجاه العقائدي وخلق بداية لتيارات واجتهادات متباينة بعضها عفوي وآخر مصمم ، منها بروز التأكيد على التكتيك بمعناه التقليدي الانتهازي القائم على التآمر والتكتل والتوسل بشتى الوسائل لتحقيق النجاح . واخذ العمل السياسي يميل للاقتصار على قسم صغير خاص من الشعب بدلا من ان يتجه للجماهير العريضة . وظهرت بوادر اتجاهات متباينة وآراء غريبة عن فكرة الحزب ترشحت من الظروف المحلية ، فجاءت منسجمة معها .. لقد بدأت اجتهادات متباينة تظهر في معنى الثورية ومعنى النضال ، ومعنى العمل السياسي وهكذا . كل ذلك قد جاء نتيجة للابتعاد عن النظرة القومية . حتى ان فكرة الوحدة العربية بدأت تتخذ معنى غريباً عن فكرتنا . فالوحدة العربية اذا ما نظر اليها من زاوية الطريقة التي تمت بها وحدة سورية ومصر والنظرة التي نتجت عنها واذا ما نظر اليها من زاوية محددة

ضيقة لا تتعدى توحيد قطر صغير كالاردن مع الجمهورية العربية المتحدة مثلا فانها حتماً ستأخذ معنى يختلف عما لو نظرنا للوحدة العربية الشاملة التي يجب ان تضم كل الوطن العربي بما فيه اقطار المغرب كالجزائر ومراكش . ان الظروف الموضوعية في هذين القطرين مثلا تتسم بالاهمية الكبرى التي اكتسبها التنظيم الشعبي الحر وبتوفير الامكانيات المادية اللازمة لبقاء الدولة وبالتجربة النضالية الغنية على عكس الحال في الاردن . لذلك فالنظرة القومية للوحدة من حيث الاسلوب والشكل والاسس ، لا بد وان تختلف عن النظرة المحلية الضيقة المحصورة في قضية توحيد قطر معين . وهكذا تفتح الاقليمية الباب امام سلسلة طويلة من الاختلافات الايديولوجية التي تزيد في البلبلة والتفكك والتفتيت ، في حين ان النظرة القومية هي المسلمة التي تتفرع منها النظرة الموحدة في جميع هذه الامور .

اخطار الاقليمية

ان خطورة الاتجاه نحو الاقليمية الموجودة حالياً في حزبنا ليست خللا بسيطاً يمكن أن يحل في جسم الحزب . انها من الاهمية بمكان بحيث تهدد كيانه ووجوده .

ويمكننا ان نشخص جوانب الخطورة والاضرار الناتجة عن ذلك بما يلي :

١ ــ ان الاتجاه الاقليمي يطعن فكرة الحزب الاساسية . وقوة الحزب من قوة فكرته فمتى خرج الحزب عن فكرته دخل في قبضة تطور مريض يقوده للموت التدريجي . ان حزبنا قد اختار التنظيم القومي

والنظرة الموحدة في النضال ايماناً منه بأن ذلك هو الخط السليم الوحيد لتحقيق فكرة القومية العربية . وبخروجه عن هذا النهج سيدخل الفراغ والعمل العقيم الذي يعني الفشل في حل القضية . عندها يزول المبرر الحقيقي لوجوده فيتحول لحركة عمياء غير ذات قصد فيضمحل ويموت .

هذا هو الخطر الجوهري الذي يتناول كيان الحزب ووجوده ، لأنه يمس فكرته الاساسية .

٢ ـ وبجانب ذلك هناك خطر اقل اهمية يمكننا ان نفرده لغرض البحث والدراسة ، بالرغم من انه في حقيقته يتعلق بالنقطة الاولى . وهذا الخطر هو فسح المجال لظهور الانتهازية في الحزب .

ان العمل الاقليمي يعني فصل الفرع عن الكيان الكلي . وبذلك يسهل على بعض الافراد الانتهازيين التحكم في ذلك الفرع والتسلط عليه واستخدامه لخدمة اغراضهم الخاصة . ان العمل الاقليمي لضيقه او لزيف اسسه يفسح المجال امام رواد المراكز والمصلحيين للظهور . في حين ان محيط الحزب القومي الموحد باتساعه وزخم الروح الثورية فيه ووزن القاعدة في تسيير شؤونه يضيق الخناق على مثل هؤلاء الافراد ولا يرفع في سلم المسؤوليات الا العقائديين المناضلين المخلصين لقضية الحزب .

٣ ـ واخيراً هناك ضرر فني يصيب الحزب هو الضعف الذي ينتج عادة عن التفكك وضياع القوى والطاقات الثورية التي تنتج عادة من الوحدة العضوية الحية المتفاعلة . ان مجموع قوى الاجزاء وهي مفرقة منفصلة اقل بكثير من قوتها وهي موحدة في كيان واحد . ان التفكك بحد ذاته مصدر ضعف وهدر الامكانيات .

وحدة الحزب هي اساس البعث الجديد

١ ـ تقوية الجهاز المركزي :

ان وحدة الحزب تحتاج لجهاز مركزي قوي يسهر عليها ويقوّمها كلما طرأ عليها خلل ويعمل دوماً لترصينها وتقويتها . ان ربط الاجزاء بجهاز وصل كفوء نشيط ضروري للمحافظة على الوحدة الداخلية . ويجب ان يكون الجهاز المركزي واعياً ومدركاً تمام الادراك لمعنى وحدة الحزب ومضمونها ليكون التوجيه الذي يصدره والخطوات التي يقوم بها والبرامج التي يطبقها كلها تدعم الوحدة وتضيف اليها قوة ومناعة بمرور الوقت . فالجهاز المركزي الواعي هو الذي يستطيع ان يشخص الآثار الخفية الضارة التي تنطوي عليها تصرفات الاعضاء والقيادات فيرصدها ويقومها حالا .

ويشمل الجهاز المركزي القيادة القومية والاجهزة الادارية والفنية التي تحيطها . ان تنظيم الجهاز المركزي هو نقطة الانطلاق في تحقيق الوحدة . لذلك يجب ان تكون اسسه علمية مستندة على احدث قواعد التنظيم .

ويمكننا ان نعدد بعض هذه الاسس الآن :

١ ـ مراعاة الكفاءة الفنية في اعضاء الجهاز وخبرتهم وتمرسهم في العمل القيادي . فلا يكتفى بالاخلاص الفطري والحماس فقط .

٢ ـ توزيع العمل والتخصص على كل المستويات .

٣ ـ تحديد واجبات وصلاحيات اعضاء الجهاز بشكل موضوعي واضح ينظم العلاقات الداخلية دون تراكم في المسؤولية وازدواج في

الصلاحية .

٤ ــ استعمال الطرق العلمية الحديثة سواء في الوسائل والمعدات ام في المعلومات واعداد التقارير والتخطيط .

٥ ــ سيادة النظام والمقاييس الموضوعية على القيم الشخصية والعواطف .

وتقوية الجهاز المركزي تتطلب امكانيات بشرية ومادية كبيرة والا فسيبقى الجهاز مشلولا لا بسبب الفوضى والارتباك بل بسبب العجز المحض . لذلك يجب ان يحشد لتكوين هذا الجهاز كل الامكانيات والكفاءات ليخرج سليماً ووافياً بالغرض .

٢ ــ المركزية في التنظيم :

لا شك ان النظام الداخلي ركن اساسي في تنظيم العلاقات الداخلية في الحزب وتحديد خطوط الاتجاه في النضال . فاذا كان النظام بروحه اقليمياً انعكست تلك الروح في العمل وادت لتثبيت وتقوية الاتجــاه الاقليمي والعكس بالعكس .

والخطوة الاساسية في نظام داخلي وحدوي هي مركزية القيادة وتقوية سلطتها واخضاع كل القيادات الدنيا لها . ويتطلب ذلك طبعاً ان تكون القيادة القومية قائمة على اسس علمية وقواعد تنظيمية تجعلها كفوءة وجديرة بهذه السلطة . فهي بعددها وكفاءة عناصرها والاختصاص في توزيع العمل بين اعضائها وتفرغهم للعمل ، والاجهزة الادارية والفنية التي تحيطها والروح الثورية العالية التي تصدر منها ، تستطيع ان تجعل من سلطتها المركزية قوة تشد الفروع للداخل وتوحد الاتجاهات المتباينة

توزيع القوى بين جهات متعددة . والفكرة هذه لا يلجأ اليها الا عندما يكون القصد احداث توازن بين قوى متباينة بسبب عدم توفر ثقة تامة باحداها كما هو الحال في تنظيم الحكومة في الولايات المتحدة مثلا . اننا حزب ثوري لا يمكنه ان يعيش الا اذا كان موحداً ، بل لا مبرر لوجوده اذا لم يكن قومياً . وهو يقوم بأساسه على الايمان والثقة والاخلاص ولا مجال للشك والريبة فيه . لذلك فلا مكان لفكرة توزيع القوى وتوازنها فيه ابداً . ان وحدة السيادة فيه هي المبدأ الذي يناسب الطبيعة الثورية لحزبنا والذي تتطلبه حاجاته الحاضرة .

٣ ـ المركزية في التخطيط :

ويجب ان يسود هذا المبدأ في التخطيط السياسي ، فيعمل الحزب حسب خطة موحدة تدرسها وترسمها القيادة القومية وتتخذها اجهزته القومية . اذ لا يمكن للفرع ان يعالج القضية العربية لوحده لضعف امكانياته ووسائله . وهو حتى عندما تتوفر له الامكانيات تبقى معالجته ناقصة غير سليمة لأنه يمارسها في حدود الاقليم الذي يوجد فيه . وهذا هو سبب فشل الاحزاب القومية الاقليمية وانكفائها ثانية نحو الوضع المحلي بعد ان فشلت في انجاز شيء مهم على الصعيد القومي . فالحزب كمنظمة واحدة يدرس بواسطة قيادته القومية الوضع العربي ككل ، واوضاع الاقطار والمناطق بتفصيل وموضوعية ، ثم يدرس اوضاعه الداخلية من كل الوجوه ، تنظيمه وامكانياته وقواه ، ويضع خطة لتحقيق اهداف معينة مستمدة من الاهداف القومية الكبرى . وفي مجال

الاستراتيجية يقارن بين الاغراض المتعددة ويكون حكماً على طريقة تصنيفها في سلم الاهمية . فهو قد يقرر بمرحلة من المراحل الاتجاه نحو تنظيم وضعه الداخلي وتمتين مؤسساته وتقوية منظماته ورفع كفاءتها والتقليل من العمل السياسي . وهو قد يفضل ان ينصرف لعمل تأسيسي في منطقة جديدة وتحقيق توسع للحزب حيث لا يوجد الحزب فيرسم خطة تنفذها كل منظماته واضعة فيها كل ما عندها من امكانيات . وهو عندما يقرر ان يدخل محيط العمل السياسي قد يقرر ان يركز على قضية قطر واحد دون الاقطار الاخرى وهكذا . المهم هو ان تكون استراتيجية الحزب قومية لا اقليمية . فعندما يتحرك نحو تحقيق هدف معين يتحرك كله كمنظمة واحدة .

٤ ـ الاقطار تشكيلات ادارية لا سياسية :

ان الحزب ككل هو المنظمة السياسية ، اما فروعه وكافة منظماته القطرية فهي وحدات ادارية محضة انشئت لا لتمارس نشاطاً سياسياً منفصلاً وخاصاً بها لحل مشكلة هذا القطر او ذاك بل لتكون جزءاً عضوياً من الجسم الذي هو الحزب . وهي عندما تتحرك يجب ان تتحرك تحت سيطرته وبتخطيط منه . صحيح ان منظمات الحزب تشارك في رسم السياسة العامة فتستعمل ما يتجمع لديها من معلومات عن الاوضاع السياسية المحلية وتكوّن آراء عن كيفية العمل محلياً وقومياً وتضع كل تجربتها تحت تصرف الحزب ويسمع رأيها في التخطيط العام ولكن كل ذلك يبقى عملا ايجابياً لتوفير المادة الاولية لرسم الخطة ، ويبقى الاشتراك

في وضعها فنياً محضاً وبحدود الاستشارة . اما بعد ان تقر الخطة فمهمة الفروع والاقطار هي التنفيذ . وهذه هي الصيغة الادارية للتنظيمات .

ان التشكيلات القطرية يجب الا تعمل على اساس الجنسية بل على اساس الحدود الجغرافية، اي انها يجب ان تتجه بعملها لمن يسكن في داخل حدود القطر بغض النظر عن الجنسية . ففي العراق مثلا يجب ان يشمل التنظيم كل الحزبيين الموجودين هناك سواء أكانوا من حملة جنسية العراق ام من الاردن ام من اي قطر عربي آخر . كذلك الذي يخرج من الاردن يجب ان يدخل في منظمات الحزب حيث يوجد ، فلا تمتد سلطة القيادة القطرية لخارج الحدود على كل من يحمل جنسية الاردن كما هو حال فرقة اللاجئين السياسيين في دمشق . ان الفرع قد انشىء لا ليحل مشكلة الاردن ولا ليختص بسكان الاردن بل لاغراض ادارية تنظيمية بحتة .

يجب ان تجرد المنظمات القطرية من كل صلاحية سياسية خاصة كالاشتراك في الحكم والانتخابات ودخول الجبهات وعقد المحالفات مع الاحزاب الاخرى ، فهذه وكل مجالات النشاط السياسي الاخرى يجب ان يكون بتخطيط وتفويض من القيادة القومية .

٥ ـ التوجيه العقائدي الوحدوي :

ولا تقتصر وسائل تقوية وحدة الحزب على الجهاز المركزي وصلاحياته ونوعية النظام الداخلي . فبجانب الاجراءات التنظيمية هناك مجال واسع للتربية والتوجيه الوحدوي . ان قاعدة الحزب وقياداته بحاجة ماسة لتوجيه مستمر يشرح ويفصّل هذه القضية ، ينبه للاخطار التي تواجه

الحزب نتيجة للاتجاه الاقليمي ويحذر من نتائجها . ان توضيح هــذا الموضوع فكرياً للقاعدة وللقيادات من شأنه ان يخلق رأياً عاماً يدعم بوعي خطوات القيادة القومية المصممة للقضاء على الاقليمية ويوجد التجاوب السريع بين القيادة والقاعدة الذي هو اساسي لنجاح الخطة .

ان بعض جوانب الاتجاه الاقليمي ناتجة عن الغموض الفكري وضعف الوعي في القاعدة وغفلة القيادات . لذلك فالتوجيه المستمر المتواصل حسب برنامج مدروس ضروري كاداة لدعم الوحدة الداخلية وترسيخها في النفوس . ان عملية التوحيد يجب ان يرافقها برنامج توجيهي دعائي وتثقيفي تحشد له كل الكفاءات الكتابية والخطابية .

وليس اقل اهمية من ذلك هو مراقبة القيادة القومية لما يكتب ويقال في داخل الحزب ، في فروعه واقطاره ، في فرقه وحلقاته . ان هذه الرقابة ضرورية – لا يشترط فيها ان تكون سابقة بل يمكن ان تكون لاحقة – لمنع اي توجيه مضر بوحدة الحزب .

(عام ١٩٥٩)

